

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الدرس : 12 - سورة الفرقان - تفسير الآيات 60 - 72

09-06-1989

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الأخوة المؤمنون، مع الدرس الثاني عشر من سورة الفرقان.

رَبِّمَا لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ آيَةٌ أَشَدَّ وَصْفًا لِحُجُودِ الْكُفَّارِ وَاسْتِكْبَارِهِمْ كَهَذِهِ الْآيَةِ:

وصلنا في الدرس الماضي إلى قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا (60) ﴾

(سورة الفرقان)

رَبِّمَا لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ آيَةٌ أَشَدَّ وَصْفًا لِحُجُودِ الْكُفَّارِ، وَاسْتِهَانَتِهِمْ، وَاسْتِكْبَارِهِمْ كَهَذِهِ الْآيَةِ:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ (60) ﴾

(سورة الفرقان)

لِلْكَفَّارِ:

﴿ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ (60) ﴾

(سورة الفرقان)

اخضعوا له، استجيبوا له، صلُّوا، طَبَّقُوا أمره، هذه المفردات كُلُّهَا مما تعنيه كلمة اسجدوا.

ليس الكفر أن تنكر وجود الله عزَّ وجل ولكن الكفر أن تُعرض عنه ولا تعبا بأمره:

قال تعالى:

﴿ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ (60) ﴾

(سورة الفرقان)

لم يقولوا: ومن الرحمن ؟ لأنهم لو قالوا: من الرحمن إنهم بهذا ينكرون الذات، أما حينما قالوا: وما الرحمن ؟ إنهم يُنكرون الصفات، هم يقرّون بوجوده ولكن وما الرحمن حتى نسجد له ؟ لذلك ليس الكفر أن تنكر وجود الله عزّ وجل ؛ ولكن الكفر أن تُعرض عنه، ولكن الكفر أن لا تقيم لأوامره قيمةً، ألا تعباً بأمره ولا بنهيهِ، ولا بوعده ولا بوعيده، ولا بشرعه ولا بقرآنه، الكفر أن تعرض، أن تدير ظهرك لأوامر الله عزّ وجل، قال تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ﴾ (60)

(سورة الفرقان)

فرعون قال هذا الكلام، قال:

﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (23)

(سورة الشعراء)

حينما تسأل بحرف (ما) فإنك تنكر الصفات لكأنك إذا استفهمت بـ (من) فإنك تنكر الذات:

حينما تسأل بحرف (ما) فإنك تنكر الصفات، هو استفهام إنكاري، إنك تنكر الصفات، لكنك إذا استفهمت بـ (من) فلعلك تنكر الذات:

﴿ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾ (60)

(سورة الفرقان)

أنسجدُ هذا إصرارٌ على الاستكبار، حينما جاءت كلمة أنسجد مرّةً ثانية إن هذا إصرارٌ على الاستكبار، واستكبارٌ ثالث:

﴿ أَنَسْجُدُ ﴾ (60)

(سورة الفرقان)

لم يقولوا: أنسجد لله:

﴿ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾ (60)

(سورة الفرقان)

كأنهم يترفعون عن ذكر اسم الله عزّ وجل:

﴿ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَرَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ (60)

(سورة الفرقان)

إنَّ دعوتهم إلى السجود زادتهم نفوراً، هذه صورةٌ صارخة، صورةٌ من صور الكفر والجحود، وكان الله سبحانه وتعالى يسلي نبيّه الكريم، أن يا محمّد لا تجزع إذا كذبوك، لا تجزع إذا جحدوا نعمتك، إنهم بالله يجحدون، إنهم يكذبون الله عزّ وجل، إنهم يستكبرون على الله.

الاستكبار و الاستنكاف عن عبادة الله:

قال تعالى:

﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ (172)﴾

(سورة النساء)

هناك من يستنكف عن عبادته، وهناك من يستكبر، قال تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ (206)﴾

(سورة البقرة)

نعوذ بالله أن نكون من المستكبرين:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا (60)﴾

(سورة الفرقان)

هذه السماء وما فيها من مجرّات وهذه البروج تنطق بعظمة الله:

ربنا سبحانه وتعالى يبيّن عظّمته، يبيّن جلاله فيقول:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا (61)﴾

(سورة الفرقان)

أي أن هذه السماء وما فيها من مجرّات تنطق بعظمة الله، وما الرحمن؟

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا (61)﴾

(سورة الفرقان)

هذه البروج التي نراها كل حين في أثناء دورة الأرض حول الشمس، إنها تنطق بعظمة الله، تنطق بوحدانيّته، تنطق بجلاله، تنطق بقدرته، تنطق بحكمته، قال تعالى:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (61)﴾

(سورة الفرقان)

كُلُّكُمْ يَعْلَمُ أَنَّ الْأَرْضَ فِي دَوْرَتِهَا حَوْلَ الشَّمْسِ تَسْتَغْرِقُ هَذِهِ الدَّوْرَةَ ثَلَاثِمِئَةً وَخَمْسَةَ وَسْتِينَ يَوْمًا وَرَبِيعَ الْيَوْمِ، أَرْبَعَةَ أَرْبَاعٍ تَكُونُ السَّنَةُ كَبِيْسَةً، تَكُونُ الْأَيَّامُ فِي شَهْرِ شَبَّاطٍ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ، فِي دَوْرَةِ الْأَرْضِ حَوْلَ الشَّمْسِ كَلَّمَا انْتَقَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ وَاجَهَتْ مَجْمُوعَةً مِنَ النُّجُومِ اسْمُهَا الْبُرُوجُ، وَجَمَعَ الْبُرُوجَ أَبْرَاجَ، وَرَبَّنَا سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى فِي آيَاتٍ أُخْرَى يَقُولُ:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) ﴾

(سورة البروج)

هذه البروج كما يسميها بعضهم: برج العقرب، وبرج الجدي وما إلى ذلك، هذه البروج مجموعات ضخمة من النجوم تتراعى لأهل الأرض مع كل شهرٍ من شهور السنة، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى الذي خلق السماوات والأرض إنها كلها تنطق بحمده، تنطق بعظمته، تنطق بجلاله، تنطق بحكمته، تنطق بقدرته، فما قول هؤلاء: وما الرحمن؟ أي ما ضرَّ السحاب نبج الكلاب وما ضرَّ البحر أن رمى فيه طفلٌ بحجر.

من آيات الله عزَّ وجلَّ أنه جعل الليل والنهار يتعاقبان لنعلم عدد السنين والحساب:

قال تعالى:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (61) ﴾

(سورة الفرقان)

هذه الشمس - والحديث عن الشمس يطول - إنها كوكبٌ مُلْتَهَبٌ، حرارتها عشرون مليون درجة في مركزها، السنة للهب تزيد عن نصف مليون كيلو متر، تبعد عنّا مئة وستة وخمسين مليون كيلو متر ومع ذلك تقول: كدت أحترق من أشعة الشمس، هذه الأشعة تبعد عنّا مئة وستة وخمسين مليون كيلو متر، يقطعها الضوء في ثماني دقائق، ولو أن الأرض أُلْقِيَتْ في الشمس لتبخرت في ثانية واحدة، فكيف ببعض بروج السماء وهو برج العقرب الذي فيه نجمٌ يتسع للأرض والشمس مع المسافة بينهما؟!

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (61) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ

وَالنَّهَارَ خِلْفَةً (62) ﴾

(سورة الفرقان)

أي أن الليل يَخْلُفُ النهار، والنهار يَخْلُفُ الليل، أولاً لنعلم العدد والحساب، ثانياً من فاتته الطاعة في الليل أدركها في النهار، من فاتته في النهار أدركها في الليل، وربّما جعل الليل والنهار مختلفين، هذا يطول وهذا يقصر، وتنعكس الآية في فصلٍ آخر، هذا أيضاً آية من آيات الله عزَّ وجلَّ، جعل الليل والنهار يتعاقبان، ومن خلال تعاقبهما نعرف عدد السنين والحساب، وجعل الليل والنهار آيتين نذكر بها

عظمة الله عزَّ وجل، وإذا فاتتنا العبادة في الليل أدركناها في النهار، وإذا فاتتنا في النهار أدركناها في الليل.

الحدُّ الأدنى في الشكر أن تذكر نعمة الله عليك والحدُّ الأعلى أن تقابل هذه النعمة بعملٍ طيب:

قال تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً (62) ﴾

(سورة الفرقان)

أولاً يخلف بعضهما بعضاً، ثانياً مختلفين في الطول والقصر، ثالثاً مختلفين في الضياء والظلام، رابعاً إنهما آيتان دالّتان على عظمة الله عزَّ وجل، لولا أن محور الأرض مائلٌ لما اختلف طول الليل والنهار، لو أن محور الأرض عموديٌّ على مستوي الدوران لتساوى الليل والنهار قال تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ (62) ﴾

(سورة الفرقان)

أن يذكر الله عزَّ وجل.

قال: " يا رب كيف أشكرك ؟ "

((إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم إنك إذا ذكرتني شكرتني وإذا نسيتني كفرتني))

[رواه الطبراني عن أبي هريرة]

فالحدُّ الأدنى في الشكر أن تذكر نعمة الله عليك، والحدُّ الأعلى أن تقابل هذه النعمة بعملٍ طيب، لقوله تعالى:

﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) ﴾

(سورة سبأ)

التذكر إما أن يكون في الوقت المناسب وإما أن يكون بعد فوات الأوان:

قال تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (62) ﴾

(سورة الفرقان)

لكن لا بدَّ من التذكُّر، ولكن إما أن يكون هذا التذكُّر في الوقت المناسب، وإما أن يكون بعد فوات الأوان، أعتى الكفار عند الموت يذكر، وعند الموت يتوب، الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ (18) ﴾

(سورة النساء)

لذلك:

﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ(152) ﴾

(سورة البقرة)

وقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا(41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا(42) ﴾

(سورة الأحزاب)

وقال:

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (62) ﴾

(سورة الفرقان)

عباد الرحمن نَسَبَهُمُ اللهُ إلى اسمه الكريم وهذا أعظم تشریف لهم:

هؤلاء الذين يقولون: وما الرحمن ؟

﴿ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا (60) ﴾

(سورة الفرقان)

ماذا يقابلهم ؟ يقابلهم عباد الرحمن، هؤلاء العباد الذين نَسَبَهُمُ اللهُ إلى اسمه الكريم، وهل من تشریفٍ أعظم من هذا التشریف أن تُنسَبَ إلى ذات الله عزَّ وجل، قال تعالى:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ (63) ﴾

(سورة الفرقان)

هذا تشریفٌ عظيم أن يكون الإنسان عبداً للرحمن، فهل هو عبداً حقاً ؟ ما صفات هؤلاء العباد، عباد الرحمن ؟ الحقيقة هذه الصفات لماذا جاءت ؟ جاءت هذه الصفات لتكون مقياساً لنا، يجب أن تعنيك هذه الصفات، يجب أن تسأل نفسك هذا السؤال: هل تنطبق هذه الصفات على صفاتي ؟ هل صفاتي مطابقةٌ لهذه الصفات ؟ إن كانت كذلك فأبشر فانت من عباد الرحمن، وإن لم تكن كذلك فاجعل هذه الصفات هدفاً لك.

كما قلت في درس سابق: هذا الذي تستهلكه الحياة يعيش لحظته، يعيش ليأكل، يعيش ليكسب المال من دون أن يفكر في مبدئه وفي منتهاه، هذا إنسانٌ تافه يعيش على هامش الحياة، لكن الله سبحانه وتعالى

الآن يصف لكم عباد الرحمن، فالسؤال الكبير: هل أنت من عباد الرحمن؟ أو هل هذه الصفات كلها منطبقة عليك؟ وإذا كان هناك اختلاف فهل هو اختلاف كبير أم اختلاف قليل؟ هل هو اختلاف في عدد الصفات أم في الدرجة؟ هل الاختلاف في النوع أم في الدرجة؟ وإن لم تكن هذه الصفات أو لم يكن بعضها اجعلها هدفاً من أهدافك، من هم عباد الرحمن؟ ونرجو الله أن نكون من هؤلاء.

حركة الإنسان على وجه الأرض عبّر عنها الله سبحانه وتعالى بكلمة (يمشون):

قال تعالى:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ (63)

(سورة الفرقان)

الحقيقة بعض المفسرين يقول: ليس القصد من هذه الكلمة أنه يمشي على وجه الأرض، كلنا نمشي، نحيا، المشي هنا بمعنى أنه يعيش على وجه الأرض، يتحرك، يذهب إلى عمله، يعود إلى بيته، ينطلق إلى نزهاته، ينطلق إلى لقاء، إلى سهرة، إلى اجتماع، إلى لهو، إلى لعب، إلى دعوة إلى الله، إلى تعلم العلم، هذه الحركة حركة الإنسان على وجه الأرض، ينطلق بدافع من شهواته، بدافع من أهدافه، بدافع من مبادئه، بدافع من قيمه، من حاجاته، من نزواته، حركة الإنسان على وجه الأرض، سعيه لكسب الرزق، سعيه لكسب العلم، سعيه لكسب اللذة، حركة الإنسان على وجه الأرض عبّر عنها الله سبحانه وتعالى بكلمة (يمشون) قال تعالى:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ (63)

(سورة الفرقان)

المعنى الأول: أي هم يتمهلون في كل شيء، لا تأخذهم الأشياء بطواهرها، هم يتأملون، يتفكرون، يبحثون، يقبلون الأمر على وجوهه؛ هذا الموقف هل يرضي الله عز وجل أم لا يرضيه؟ إذا نشب خلاف بين أمك وزوجتك ماذا تفعل؟ لا يندفعون بدافع من غرائزهم، بدافع من نزواتهم، لا يتخذون مواقف مرتجلة، إنهم يمشون على الأرض هوناً، إذا شربوا كأس الماء لا يشربونه كالبهائم، يشربونه ويفكرون في هذا الماء العذب الفرات الذي وقّره الله للإنسان، اللهم أرنا نعمك بكثرتها لا بزوالها، ربّما عرفنا في هذا العام قيمة الماء.

المعنى الأول لهذه الآية أي يتمهلون في كل شيء ولا تأخذهم الأشياء بطواهرها:

هؤلاء:

﴿ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ (63)

(سورة الفرقان)

قبل أن يعقدوا عقد زواجهم على امرأة يترَيِّتون هل هذه المرأة سالحة ؟ هل تنطبق عليها الصفات التي أمر بها النبي عليه الصلاة والسلام ؟ هل آثرت في هذه المرأة دينها أم دنياها ؟ هل آثرت جمالها أم مالها أم نسبها أم دينها ؟

﴿ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَ ﴾ (63)

(سورة الفرقان)

قبل أن يعقدون صفقة، هل هذه البضاعة ترضي الله عزَّ وجلَّ أم أنَّ هذه البضاعة محرَّمة ؟ هل طريقة هذا التعامل في شرائها أو بيعها مما يرضي الله عزَّ وجلَّ ؟ قبل أن يضعوا سعراً لهذه السلعة، هل هذا السعر يرحم المسلمين أم لا يرحمهم ؟

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَ ﴾ (63)

(سورة الفرقان)

عندهم تريُّث، تأمُّل، تفكُّر، وقوف عند كتاب الله، يسألون: ما هذا الحكم ؟ ما حكم هذه الصفقة هل هي مباحة هل فيها كراهة ؟ نوع هذه الكراهة تحريمية أم تنزيهية ؟ ما نوع هذه الكراهة ؟ هل هذا الشيء مُحَرَّم، هل هو مباح، هل هو حلال ؟ فما الذي يهلك الناس ؟ أنهم يندفعون نحو شهواتهم من دون تَبَصُّر، تلوح لهم الدنيا فيندفعون نحوها بحقٍ أو بغير حق، من طريق مشروع أو من طريق غير مشروع، بطريقة ترضي الله أو لا ترضي الله، هان الله عليهم فهانوا على الله.

عباد الرحمن أيضاً يفكرون قبل أي حركة فهم لهم منهاج:

كلمة هوناً رائعة جداً، يفكِّر قبل أن يتحرَّك، قبل أن يذهب إلى البلد الفلاني يفكِّر ما مصير بناتي وأولادي إذا كبروا هناك ؟ هل بإمكانني أن أمنع ابنتي من أن تسبح على البحر بلباس السباحة ؟ ماذا يحدث لي لو رأيت مع ابنتي شاباً صديقاً لها إذا أقمت في بلاد الكُفر ؟ يفكِّر قبل أن يندفع إلى السفر، وإلى أن يقيم في هذه البلاد يفكِّر في مستقبل بناته، في مستقبل أولاده:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَ ﴾ (63)

(سورة الفرقان)

قبل أن يُرسل ابنه إلى بلاد الغرب، ما احتمال أن يفسد دينه ؟ ما احتمال أن يعود إلى بلده وهو يُنكر دينه ؟ هناك احتمالات، فقبل أي حركة ؛ حركة لكسب المال، حركة لقضاء متعة، حركة لعمل معين، قال تعالى:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَ ﴾ (63)

(سورة الفرقان)

هم لهم منهاج، هذه الآلة قبل أن تشغلها بجهلٍ اقرأ التعليمات، هناك تعليمات من الصانع، وأنت آلة، قبل أن تندفع إلى شيءٍ ما اقرأ التعليمات، كان سيدنا عمر رضي الله عن عمر وقافاً عند كتاب الله، قبل أن أشتري هذا المحل التجاري هل موقعه مناسب؟ قبل أن أشتري هذا البيت هل هو في منطقةٍ يكثر فيها الفساد؟ هل أخاف على بناتي وعلى أولادي من هذه المنطقة؟ أم أنتقي لهم حياً آخر؟

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا (63) ﴾

(سورة الفرقان)

التسرُّع والعَجَلَةُ يُهلكُ الناسَ لكن المؤمن يفكِّر ويقف ويتأمَّل:

ما الذي يُهلكُ الناسَ؟ التسرُّع، العَجَلَةُ، الاندفاع نحو كسب المال، الاندفاع نحو قضاء اللذَّة، الاندفاع نحو المجد الفارغ، الاندفاع نحو العلو في الأرض، قبل أن تقبل هذه الوظيفة هل تعرف أنك محاسبٌ محاسبةً دقيقةً من قِبَلِ الله عزَّ وجل عن كل موقفٍ تفقه، وعن كل أمرٍ تأمره، وعن كل نهيٍ تنهاه؟

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا (63) ﴾

(سورة الفرقان)

المؤمن يفكِّر، يقف، يتأمَّل، يُمَحِّص، يدقِّق، يُقَيِّب الأمر على وجوهه كُلِّها، قبل أن تختار هذه الفتاة لابنك هل هي فتاةٌ مؤمنة تعينه على أمر دينه أم أنها طائشة؟ تسأل ابنك: ما الذي أعجبك في هذه الفتاة؟ أعجبك غنى أهلها؟ أعجبك جمالها؟ قبل أن تفكِّر في إعطاء ابنتك لشاب، ما الذي أعجبك في هذا الشاب؟ هل نفذت أمر الله عزَّ وجل:

﴿ وَلَعِبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ (221) ﴾

(سورة البقرة)

أكثر الناس يندفعون من دون تبصُّر فإذا هم يقعون في شرِّ أعمالهم، قبل أن توافق على أن يدخل هذا الخطيب على ابنتك من دون عقد قران، هل فكَّرت باحتمال أن يجلس معها جلساتٍ طويلةٍ ثم يغيب عن الأنظار؟ وماذا تفعل بعدئذٍ إذا كان الأمر قد وقع؟ قبل أن تقول: أنا مع الناس، لم أشأ أن أكن جلفاً أو غليظاً وافقت، قبل أن توافق هل أدركت العواقب؟

على المؤمن أن يفكِّر في كل كلمةٍ ينطق بها وأن يكون وقافاً عند كتاب الله:

الشرع دقيق، هذا الشرع الإلهي يدور مع الناس في كل حياتهم؛ في حياتهم المنزليَّة، في علاقاتهم مع زوجاتهم، في علاقاتهم مع أولادهم، في علاقاتهم مع الناس، مع الجيران، مع من هم فوقهم، مع من هم دونهم، قبل أن تفق، قبل أن تنطق بكلمة، هل هذه الكلمة فيها خير؟ هل في هذه الكلمة غيبة؟ هل في هذه الكلمة نميمة؟ هل في هذه الكلمة بهتان؟ هل في هذه الكلمة إفك؟ هل في هذه الكلمة سُخرية؟ هل

في هذه الكلمة كَبُرَ ؟ هل في هذه الكلمة تَجَبَّرُ واستعلاء ؟ هل في هذه الكلمة إفساد ذاتُ البين ؟ هل في هذه الكلمة تنغيصُ عيش هذه المرأة ؟ قبل أن تقول لأختك وقد زرتها في العيد: ماذا قَدَّم لكِ زوجك ؟ هل فَكَّرت في هذه الكلمة ؟ لو أن زوجها لم يقدِّم لها شيئاً لقد جرحتها، لقد جعلتها تنظر إلى زوجها نظرةً غاضبة، قبل أن تنطق، أحياناً نظرةً تسبِّب مشكلة، فلذلك:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا (63) ﴾

(سورة الفرقان)

في الكلمات ؛ فَكَّر في كل كلمةٍ تنطق بها، فَكَّر في كل نظرةٍ، فَكَّر في كل سماعٍ، فَكَّر في كل لقاءٍ، فكر في كل نزهةٍ، فكر في كل سهرةٍ، في كل صفقةٍ، في كل حركةٍ، في كل سكنةٍ، كن وَقَافاً عند كتاب الله كما هي صفة سيدنا عمر، رضي الله عن عمر.

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا (63) ﴾

(سورة الفرقان)

عباد الرحمن وقتهم ثمين ويتمنون أن ينجوا بوقتهم وأنفسهم من السفية والجاهل:

شيءٌ آخر: هؤلاء عباد الرحمن وقتهم ثمين، بل إن الوقت أثمن شيءٍ يملكونه، الوقت أثمن شيءٍ يملكونه، لذلك عباد الرحمن ليسوا مستعدين لينفقوا أوقاتهم الثمينة في القيل والقال، في كلام فارغ، في موضوعٍ سخيف، في مناقشةٍ باطلة، في محاورَةٍ غير هادفة، هم أرقى من ذلك، وقتهم أعلى من ذلك، هدفهم في الحياة أسمى من ذلك، لذلك:

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) ﴾

(سورة الفرقان)

ليس من التسليم ؛ بل من السلامة، أي أنهم يتمنون أن ينجوا بوقتهم وأنفسهم من هؤلاء، فهذا الذي يهبط إلى مستوى السفية يناقشه ويحاوره، ويأخذ ويعطي، ويتكلم ويناقش هذا التصرف ليس من صفات عباد الرحمن:

((إن الله يحبُّ معالي الأمور ويكره سفاسفها ودينها))

[الجامع الصغير عن سهل بن سعد]

وقتك ثمين فحافظ عليه، لا تنطق إلا بالحكمة، قال عليه الصلاة والسلام:

((أمرني ربي بتسع ؛ خشية الله في السرِّ والعلائية، كلمة العدل في الغضب والرضا، القصد في الفقر

والغنى، وأن أصل من قطعني، وأعفو عن ظلمي، وأعطي من حرمني، وأن يكون صمتي فكراً))

[أخرجه القرطبي عن أبي هريرة]

وأنت راكب في مركبةٍ عامّةٍ فكّر، فكّر في شيءٍ يعينك على معرفة الله عزّ وجل، فكر في أعضائك، فكر في أجهزتك، فكر فيما تراه حولك من آياتٍ دالّةٍ على عظمة الله:

((أمرت أن يكون صمتي فكراً، ونظمي ذكراً))

[أخرجه القرطبي عن أبي هريرة]

هناك صفاتٍ تجرّحُ عدالة الإنسان وأثمن شيءٍ يملكه الإنسان هو عدالته:

لا تتنطق بالباطل.

((مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةٌ))

[من سنن أبي داود عن أبي هريرة]

لا تجلس في مجلسٍ فيه حديث عن النساء، لأنه كما تعلمون إن هناك صفاتٍ تجرّحُ عدالة الإنسان، وأثمن شيءٍ تملكه أنت عدالتك، ما الذي يجرح العدالة؟ أن تجلس مجلساً يتحدث فيه عن النساء، هذا المجلس يجرح عدالتك، أن تنتزّه في الطرقات هذا أيضاً يجرح العدالة، أن تصاحب الأراذل هذا أيضاً يجرح العدالة، صحبة الأراذل، التنزّه في الطرقات، الحديث عن النساء، التطفيف ولو بتمرة، أن تأكل لقمةً من حرام، تطفيف بتمرة، من علا صياحُ في البيت هذا أيضاً يجرح العدالة، من أطلق لفرسه العنان هذا أيضاً يجرح العدالة، من قاد بردوناً في الطريق، أي حيواناً مخيفاً، هذا أيضاً يجرح العدالة، من بال في الطريق، من أكل في الطريق، عدّ العلماء ثلاثاً وثلاثين موقفاً لو فعلها الإنسان جرّحت عدالته، لذلك قبل أن تأكل في الطريق هذا يجرح العدالة، قبل أن تمشي في هذا الطريق، هذا الطريق لا يليق بك أن تمشي فيه إلا لأمرٍ قاهر، يجب أن تأخذه عرضاً لا طولاً:

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) ﴾

(سورة الفرقان)

ليس من التسليم؛ بل من النجاة، يحفظون وقتهم، يحفظون شعورهم، يحفظون فكرهم من هذا:

((مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةٌ))

[من سنن أبي داود عن أبي هريرة]

وفي حديثٍ آخر:

((لَا يَفْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَعَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))

[صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري]

عباد الرحمن في النهار لهم هدفٌ كبير يبحثون عن وسيلةٍ لتحقيق هذا الهدف:

قال تعالى:

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) ﴾

(سورة الفرقان)

هم في النهار لهم هدفٌ كبير يبحثون عن وسيلةٍ لتحقيق هذا الهدف، وفي النهار أيضاً معرضون عن الجاهلين، من هو الجاهل؟ الجاهل هو الذي جهل ربّه، وجهل نفسه، وجهل أصله، وجهل منتهاه، وجهل شرع الله عزّ وجل، وجهل لماذا هو على وجه الأرض، وجهل طبيعة العمل الصالح، جهل كتاب الله، هذا جاهل:

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (7) ﴾

(سورة الروم)

والجاهل أيضاً السفیه، إما الجاهل من الجهل، وإما الجاهل من الجهالة، الذي يسفه في كلامه، يُسِفِّه في تصرُّفاته، ينحط إلى مستوى لا يليق به هذا أيضاً جاهل، قال تعالى:

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) ﴾

(سورة الفرقان)

فقد ورد اصرم الفاسق، اصرم السفیه.

السفیه ترفّع عنه، ليس هذا كبراً ولكن قصماً له وحسماً لشرّه، ترفّع عنه، لا تهبط إلى مستواه.

ليل عباد الرحمن وخاصة ليالي الشتاء للقيام والعبادة:

هذا في النهار أما في الليل ماذا يفعلون؟ ولاسيما في ليالي الشتاء، حيث الليل كما قال عليه الصلاة والسلام:

((الشِّتَاءُ رَبِيعُ الْمُؤْمِنِ))

[مسند أحمد عن أبي سعيد]

طال ليله فقامه، وقصر نهاره فصامه، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64) ﴾

(سورة الفرقان)

حيث الناس يقبعون وراء أجهزة اللّهُو، وحيث الناس يقرؤون القصص غير اللانثقة، وحيث يجلسون نساءً ورجالاً يتبادلون ألوان الحديث المُمتع وغير الممتع، هم:

﴿ يَبِيئُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ (64)

(سورة الفرقان)

هم يجلسون كما قال الله عزَّ وجل لسيدنا موسى:

" يا موسى أتحبُّ أن أكون جليسيك ؟ " قال: " كيف ذلك يا رب ؟ "

وقد وُصف الصحابة الكرام عليهم رضوان الله بأنهم فرسانٌ في النهار، رهبانٌ في الليل.

المؤمن لا يطمئن إلا إذا توفاه الله على الإيمان وختم الله له عمله الطيب بالإحسان:

الليل ربنا سبحانه وتعالى يقول:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (1)

(سورة القدر)

لأن في الليل مجال الإقبال على الله والتقرب منه، والتهجد له، وذكره في الليل حيث الناس نيام:

﴿ وَالَّذِينَ يَبِيئُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ (64)

(سورة الفرقان)

ومع أنهم مستقيمون على أمر الله، ومع أنهم على الصراط المستقيم، ومع أنهم ملتزمون، ومع أنهم طائعون يخافون الله عزَّ وجل، وكلُّما زاد علمك زاد خوفك، وكلُّما زادت معرفتك زاد شعورك بالتقصير، لذلك الإمام الشافعي رضي الله عنه يقول: " كلُّما ازددت علماً ازددت علماً بجهلي ". فهؤلاء كما قال بعض التابعين: " التقيت مع أربعين صحابياً ما منهم واحدٌ إلا ويظنُّ أنه منافق "، لعظم حقِّ الله عليك، لعظم المهمة التي أنت بصددِها، لذلك تشعر أن هناك مسؤوليةً كبيرة، لعلَّ في العمل خلاً، لعلَّ في النية خلاً، لعلَّ في الهدف خلاً، لعلَّ هناك تقصيراً، لعلَّ هناك تعطياً، لذلك قلب المؤمن في خوف. يُروى أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، قال على فراش الموت: " كلا بعد كلا بعد " وخاف تلامذته أن تكون هذه الكلمات بشارَةً ليست مُرضية، بعد أن مات رآه بعض تلامذته، فقال: " يا سيدي ما فعل الله بك ؟ ولماذا قلت: كلا بعدُ كلا بعدُ ؟ "، قال: " يا ولدي جاءني الشيطان قبل أن أموت فقال: قد نجوت، فقلت: كلا بعدُ ". المؤمن لا يطمئن إلا في حالةٍ واحدة وهي إذا توفاه الله على الإيمان وختم الله له عمله الطيب بالإحسان لذلك:

((إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله قبل موته، فسأله رجل من القوم: ما استعمله ؟ قال: يهديه الله عز

وجل إلى العمل الصالح قبل موته ثم يقبضه على ذلك))

[أخرجه أحمد عن عمر الجمعي]

ربنا عز وجل إكراماً للمؤمن، إذا كان هذا المؤمن حريصاً على طاعة الله يقبضه في أحلى ساعاته، في ساعات إقباله، في عمله الصالح، في صلاته، في قيامه، في ركوعه، في سجوده، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ (65) ﴾

(سورة الفرقان)

الإِنسان كلما ارتقت معرفته ازداد تواضعه وازداد خوفه وحذره:

لا تجد الكبر إلا في الضعفاء، أو في البعيدين، سيدنا يوسف وهو قَمَّةٌ في العفاف، وهو مَضْرَبُ المثل ماذا قال ؟ قال:

﴿ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ إِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ(33)﴾

(سورة يوسف)

سيدنا إبراهيم ماذا قال ؟ قال:

﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ(35) ﴾

(سورة إبراهيم)

معنى ذلك أن الإنسان كلما ارتقت معرفته ازداد تواضعه، وكلما ارتقت معرفته ازداد خوفه، وكلما ارتقت معرفته ازداد قلقه وازداد حذره، لهذا جاء في بعض الأحاديث الصحيحة:

" أن المؤمن يرى ذنبه كأنه جبلٌ جاثمٌ على صدره، بينما المنافق يرى ذنبه كأنه ذبابةٌ حطت عليه فطارت "

يقول لك: ماذا فعلت ؟ ما الذي حدث ؟

ما يزيد الذنب عِظماً عند الله عز وجل أن تستصغره وما يقلل شأنه عند الله أن تستعظمه:

من يستهن بذنبه فهو من علامات النفاق لذلك الإمام الغزالي عقد في الإحياء بحثاً لطيفاً قال: " ما الذي يجعل الذنوب الصغيرة كبيرة ؟ "

من هذه الشروط أنه كلما استصغر العبد ذنبه كُبر عند الله، وكلما استعظم العبد ذنبه صَغُرَ عند الله، من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((لا صغيرة من الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار))

[مسند الشهاب عن ابن عباس]

كَلَّمَا أَظْهَرَهُ لِلنَّاسِ ازْدَادَ هَذَا الذَّنْبُ عِنْدَ اللَّهِ عِظْمًا، وَكَلَّمَا أَخْفَاهُ هَذَا دَلِيلُ الْحَيَاءِ، مِنْ هُنَا قَالَ بَعْضُهُمْ: " إِذَا بُلِّغْتُمْ بِالْمَعَاصِي فَاسْتَتَرُوا "، فَهَذَا الَّذِي يَعْصِي اللَّهَ جَهَارًا وَلَا يَبَالِي هَذَا فَاجِرًا، وَهَذَا ذَنْبُهُ مِضَاعَفًا، وَهَذَا لَا غِيْبَةَ لَهُ، فَقَدْ وَرَدَ فِي الْأَثَرِ:

((انكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس))

أما الذي يفعل الذنب وهو مُتَكَبِّرٌ، لَا يَحِبُّ أَنْ يُرَى فِي هَذِهِ الْمَخَالَفَةِ فِيهِ خَيْرٌ، هَذَا عَرَّفَ بَعْضُهُمُ الْمُسْلِمَ بِأَنَّهُ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الصَّلَاحُ وَالتَّسْتُرُ، فَإِذَا أَظْهَرَ ذَنْبَهُ فَقَدْ جَاهَرَ بِالْمَعْصِيَةِ، فَمِمَّا يَزِيدُ الذَّنْبَ عِظْمًا عِنْدَ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ أَنْ تَسْتَصْغِرَهُ، وَمِمَّا يَقِلُّ شَأْنُهُ عِنْدَ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ أَنْ تَسْتَعْظِمَهُ، مِمَّا يُعْظِمُ الذَّنْبَ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَجْهَرُ بِهِ، مِمَّا يُعْظِمُ الذَّنْبَ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَصْرَّ عَلَيْهِ.

الإِنْسَانُ إِذَا عَرَفَ اللَّهَ مَعْرِفَةً جَيِّدَةً ازْدَادَ خَوْفُهُ وَازْدَادَتْ خَشِيَّتُهُ:

هُؤُلَاءِ مَعَ أَنَّهُمْ مُسْتَقِيمُونَ، مَعَ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ، مَعَ أَنَّهُمْ خَائِفُونَ، مَعَ أَنَّهُمْ وَجِلُونَ، مَعَ أَنَّهُمْ وَقَّافُونَ عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65) ﴾

(سورة الفرقان)

سَيَدْنَا عَمْرٌ عِنْدَمَا قَالَ: " لَيْتَ أُمَّ عَمْرٍ لَمْ تَلِدْ عَمْرًا، لَيْتَهَا كَانَتْ عَقِيمًا ". كَانَ بِهَذَا يَعْنِي مَا يَقُولُ، كَانَ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهَ عَنْهُ يَقُولُ: " لَيْتَنِي أَلْقَى اللَّهَ لَا لِي وَلَا عَلَيَّ ". الْإِنْسَانُ إِذَا عَرَفَ اللَّهَ مَعْرِفَةً جَيِّدَةً يَزْدَادُ خَوْفَهُ، وَتَزْدَادُ خَشِيَّتُهُ وَمِنْ هُنَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

((أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ))

[الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ]

لِعِظْمِ مَعْرِفَتِهِ بِاللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ، قَالَ:

((لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ مَا أَكَلْتُمْ طَعَامًا عَنْ شَهْوَةٍ، وَلَا شَرِبْتُمْ شَرَابًا عَنْ شَهْوَةٍ))

[مِنْ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ عَنِ الْعَرَبِيَّاتِ]

((لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لِبِكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلِضَحَكْتُمْ قَلِيلًا))

[مِنْ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ عَنِ الْعَرَبِيَّاتِ]

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

((إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقٌّ لَهَا أَنْ تَنْطَبِقَ فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلِكٌ وَاضِعٌ جِبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَدَّدْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ تَجَازُونَ إِلَى اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَبِي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ))

[سنن الترمذي عن أبي ذر]

كلمة غراماً تعني عذاباً مستمراً وأخطر صفة في عذاب النار أنه مستمر:

نسأل الله العلم:

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65) ﴾

(سورة الفرقان)

معنى غراماً قال بعضهم: هذه من الغريم، الغريم صاحب الدين يلزم المدين. وقال بعضهم: الغرام هو الملازمة، فكلمة غراماً تعني عذاب مستمر، الإنسان أحياناً تُكسر رجله فلا يُبالي، لكن إذا قيل: لا بد من أن تُقَطَّع هذه الرجل فإنه ينهار، لماذا؟ هناك فرق كبير بين كسر الرجل وبين قطعها؟ الكسر طارئ تُجَبَّر فتعود كما كانت، لكن القطع دائم، الشيء المستمر مخيف جداً، هناك أمراض كثيرة قد يشفى منها الإنسان، أما المرض المستمر هذا مرض مُخيف، المستمر ينتهي عند الموت، ولكن هذا العذاب إلى أبد الأبد، فأخطر صفة في عذاب النار أنه مستمر:

﴿ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (167) ﴾

(سورة البقرة)

أدلة من القرآن الكريم على استمرارية عذاب جهنم:

قال تعالى:

﴿ وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (77) ﴾

(سورة الزخرف)

وقال:

﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65) ﴾

(سورة الفرقان)

أي أنه مستمر، عذاب ملازم لأصحابه لا ينفك عنهم:

﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ (56) ﴾

(سورة النساء)

وقال:

﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (66) ﴾

(سورة الفرقان)

وقال:

﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ(61)﴾

(سورة القصص)

الذي يجعل النفقة معصية أن تنفقها في الباطل والذي يجعلها طاعة أن تنفقها في الحق:

قال تعالى:

﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (66) ﴾

(سورة الفرقان)

أين الاستقرار ؟ كيف يستقر الإنسان وهو في النار ؟ وكيف تكون له مقاماً ؟ إذا هؤلاء في النهار مفكّرون، وقآفون عند كتاب الله، يتأملون، وعن الجهلة معرضون، وفي الليل يصلون ويسجدون، ويخافون ويحذرون، أما إذا أنفقوا، وإنفاق المال أوسع نشاط في الإنسان، فما من إنسان على وجه الأرض إلا وهو ينفق ليأكل، ينفق لينام، ينفق ليسكن، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (67)﴾

(سورة الفرقان)

بعضهم قال: الفضيلة وسط بين طرفين، هذه الآية فسرها العلماء تفسيرات كثيرة، قال العلماء: " إذا أنفقت في طاعة الله ألوف الألوف فانت لست بمسرف، وإذا أنفقت في معصية الله درهماً واحداً فهذا إسراف، وإذا أنفقت في طاعة الله فهذه النفقة القوام، الصحيحة، " هذا وجه، أي أن الذي يجعل النفقة صحيحة أن تكون في طاعة الله وفق الشرع، والذي يجعلها معصية أن تنفقها في الباطل، والذي يجعلها طاعة أن تنفقها بالحق.

الله سبحانه وتعالى في ثماني آيات حصر في كتاب الله وصف المترفين بأنهم كافرون:

قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا (67) ﴾

(سورة الفرقان)

في طعامهم، وفي شرابهم، وفي سُكناهم، وفي حياتهم النفقة المعتدلة، لأن الله سبحانه وتعالى في ثماني آياتٍ حصرأ في كتاب الله وصف المُترفين بأنهم كافرون، لماذا ؟ لأنه جعل الدنيا كُلَّ هَمِّه، لأنه جعل النعيم فيها كل شيءٍ في حياته، لأنه نقل اهتماماته من الآخرة إلى الدنيا، وهو بعمله لم يبال بالآخرة، طبعاً لا إسراف في الخير، ولا خير في الإسراف، في طاعة الله، في الإنفاق في سبيل الله ليس هناك سقف، ولكن فيما يتعلّق في النفقات التي تنفقها من أجل أن تعيش هذه النفقات يجب أن تكون معتدلة:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (29)

(سورة الإسراء)

في الإنفاق، النبي الكريم نهى عن نوعين من الألبسة، نهى عن الألبسة مشهورة ونهى عن الألبسة مهجورة، أي أن الثياب البالية التي تذري بصاحبها هذه مهجورة، والثياب الغالية جداً التي تجعل الناس يرمقونك بأبصارهم إعجاباً هذه أيضاً غير مشكورة، الاعتدال، لباس مقبول لطيف أنيق فيه ذوق، من دون إسراف، من دون مَحْيَلَة، هذا في اللباس، وفي الطعام، وفي السُكْنَى، وفي كل النشاطات، لأنه إذا عرفت ما عند الله من ثواب هذا المال الذي تنفقه بطراً ورتاء الناس لو أنفقتة في سبيل الله لارتقى بك إلى أعلى عليين، أنت في دار تكليف لا في دار تشریف، أنت في دار عمل لا دار جزاء، لو أنك في دار الجزاء لأبيح لك أن تنفق ما تشاء، ولكن في دار عمل كل شيءٍ محاسبٌ عليه.

الدرهم إذا أنفقتة في طاعة الله ارتقى بك إلى الجنة:

قال عليه الصلاة والسلام:

((لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ وَضَعَهُ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ))

[سنن الدارمي عن معاذ بن جبل]

وقال أيضاً:

((لَيْسَ مَنًّا مِنْ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَتَرَ عَلَىٰ عِيَالِهِ))

[الجامع الصغير عن جبير بن مطعم]

أن تضع اللقمة في فم زوجتك هي لك صدقة لكن باعتدال، عندما أوصانا النبي الكريم بالجار قال:

((وَإِذَا اشْتَرَيْتَ فَاكِهَةً فَأَهْدُ لَهُ مِنْهَا فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأَدْخِلْهَا سِرًّا، وَلَا يَخْرُجُ بِهَا وَلَدٌ لِيُغِيظَ وَلَدَهُ، وَلَا تُوذُهُ بِقِتَارِ قَدْرِكَ إِلَّا أَنْ تَعْرِفَ لَهُ مِنْهَا))

[ابن رجب في جامع العلوم والحكم]

يعني بالإنفاق، هناك من ينفق المال ويطعم الناس ويفتخر بهذا الإطعام، هذه دعوة لا ترضي الله عز وجل، ولكنك إذا أطعمت إنساناً تبتغي بهذا الإطعام أن تشبعه، أو أن تكسب قلبه فهذا إطعام مشروع.

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا (67) ﴾

(سورة الفرقان)

لأن هذا الدرهم إذا أنفقته في طاعة الله ارتقى بك إلى الجنة، وإذا أنفقته في معصية الله كان حجاباً بينك وبين الجنة، فأنت محاسب عن هذا المال، فهذا الذي ينفق أموالاً طائلة، وهناك أناسٌ يتمنون أن يأكلوا شيئاً من اللحم، هذا الإنفاق والتبذير والإسراف يقابله جوعٌ شديد، كأن الله سبحانه وتعالى يحاسبك، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به))

[رواه الطبراني عن أنس بن مالك]

ما آمن.

اثنان لا تقربهما الإشراف بالله والإضرار بالناس:

المُلْحَص هو أن هذا المال الفانض الذي تنفقه تبذيراً وإسرافاً، لو أنفقته في طاعة الله لارتقى بك إلى أعلى عليين، ولكن زاداً لك إلى الجنة، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ (68) ﴾

(سورة الفرقان)

أعظم شيء يقع فيه الإنسان الشرك بالله، لهذا قال الله عز وجل:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ (48) ﴾

(سورة النساء)

اثنان لا تقربهما الإشراف بالله والإضرار بالناس، أعظم ذنب بعد الشرك أن تقتل نفساً بغير حق، أعظم شيء بعد القتل أن تزني، لأن الزنا قتل، ولكنه قتل معنوي، لأن الله عز وجل يقول:

﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ (191) ﴾

(سورة البقرة)

التوحيد كفكرة سهل أما أن تعيش التوحيد فهذا شيء يحتاج إلى جهد كبير:

لو أن الفتاة قُتِلَتْ وهي بريئة لدخلت الجنة، لكنّها إذا زَلَّت قدمها وعرّت واستمرت هذا العمل وأمضت به حياتها دخلت إلى النار، فقتل النفس بآلة حادة لا يقلُّ عن قتلها بإفسادها، كلاهما قتل، لذلك في سورة

الإسراء جاء الزنا بين قتلين لأنه قتل، الإنسان له كرامة، له عِفَّة، له شرف، له وجهة إلى الله عزَّ وجل، إذا زَلَّت قدمه هبط عن هذا المستوى إلى مستوى الحيوان فانقطع عن ربه، فهؤلاء عباد الرحمن:

﴿ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ (68) ﴾

(سورة الفرقان)

موجِّدون، والتوحيد أيها الأخوة كفكرة سهل ؛ أما أن تعيش التوحيد هذا شيء يحتاج إلى جهد كبير، أن لا ترى مع الله أحداً هذه الرؤية تحتاج إلى أعمال، وإلى مجاهدة، وإلى تفكير، وإلى بحث، وإلى ملازمة، وإلى صدق، أما أن تسمع أنه لا إله إلا الله، فسماع الفكرة سهل، ربنا عزَّ وجل قال:

﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ (19) ﴾

(سورة محمد)

لم يقل: فاسمع، لم يقل: ففهم، بل قال: فَأَعْلَمَ، فالعلم يقتضي البحث، فإذا رأيت أنه لا إله إلا الله، وأنه ليس مع الله أحد، هذا هو التوحيد، وما تعلَّمت العبيد أفضل من التوحيد، والتوحيد نهاية العلم، فنهاية النهاية أن لا ترى مع الله أحداً، فإذا رأيت زيدا أو عبيداً، وفلاناً أو علاناً، وفلان بيده الأمر الفلاني، فلان بيده أن ينفع، فلان بيده أن يضُر، هذا هو الشرك.

أما عباد الرحمن:

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ (68) ﴾

(سورة الفرقان)

نفي الزنا عن المؤمنين أبلغ من نهيمهم عن الزنا:

هناك أشخاص كلما رأوا حشرة داسوها بأقدامهم، من دون تحقُّق، من دون تَبَصُّر، هذه تُقْتَل، هذه لا تُقْتَل، هذه يجوز قتلها هذه لا يجوز، هكذا، من دون وعي ؟ المؤمن وقَّاف عند شرع الله، يسأل: هل يجوز قتل هذه الحشرة أم لا يجوز ؟ قال تعالى:

﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ (68) ﴾

(سورة الفرقان)

هذه (لا) نافية، ونفي الزنا عن المؤمنين أبلغ من نهيمهم عن الزنا، إذا نهيت إنساناً عن الزنا فكأن الزنا داخل في حساباته، إذا نهيت موظفاً عن التأخُّر فكأن التأخُّر من عاداته، أو كان التأخُّر محتمل أو ممكن، لكنك إذا نفيت عنه الشيء هذا أبلغ من النهي عنه، ففرق بين النهي وبين النفي، ربنا عزَّ وجل يقول:

﴿ وَلَا يَزْنُونَ (68) ﴾

(سورة الفرقان)

وإن زنا وإن سرق في بعض الأحاديث الشريفة هذه في الماضي، فالله سبحانه وتعالى يتوب عن المؤمن وإن كان له ماضٍ لا يرضاه، أما أن نتصور مؤمناً يزني هذا مستحيل، يستحيل بحقّ المؤمن ذلك، فهذه الآية تؤكد هذا المعنى، الله سبحانه وتعالى ينفي عنهم الزنا:

﴿ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) ﴾

(سورة الفرقان)

يلقى الإثم، يلقي البعد، يلقي الحرمان، يلقي اللعنة من الله عزّ وجل، قال تعالى:

﴿ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) ﴾

(سورة الفرقان)

أحياناً غفلةً يسيرة عن الحق تسوق الإنسان إلى النار:

المعصية تنتهي بالهوان، ربما كما قال عليه الصلاة والسلام:

((إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ ثَلَاثًا أَلَا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ))

[مسند أحمد عن ابن عباس]

إذا الإنسان أعطى نفسه ما تشتهي، استرخى، أطلق للسانه العنان، أطلق لعينيه العنان نظر بهما إلى الحرام، تكلم بما يعنيه وما لا يعنيه، بما يجوز وما لا يجوز، بما هو حق وبما هو باطل:

((إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ ثَلَاثًا أَلَا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ))

[مسند أحمد عن ابن عباس]

غفلةً يسيرة تسوق الإنسان إلى النار.

((دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هَرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تَطْعَمْهَا وَلَمْ تَدْعَها تَأْكُلْ مِنْ خَشَائِشِ الْأَرْضِ))

[صحيح البخاري عن أبي هريرة]

هرّة حبستها:

((إِنَّ فَلَانَةَ يُدْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ: هِيَ فِي

النَّارِ))

[مسند أحمد عن أبي هريرة]

((إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ، إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ))

[أحمد عن ابن عباس]

الله سبحانه وتعالى كلما أعطانا صورة من صور العذاب بين سبيل النجاة:

الأمر بخواتيمها، طبعاً ربّما رأيت الفاجر مُرتاحاً، غير مقيد، غير ملتزم، يفعل ما يشاء، يلتقي مع من يشاء، يذهب إلى أي مكانٍ يشاء، يجلس مع النساء من دون تحفظ، من دون اهتمام، يطلق بصره، يطلق لسانه، يستمع إلى ما يشاء، هذه الحرّية هي ثقّلت وليست حرّية، ولكن الثمن باهظ، أما هذا الذي خاف الله، حفظ رأسه وما وعى، أي أنه حفظ جوارحه هذا ينتهي به المقام إلى جنّة عرضها السماوات والأرض، ينتهي به المقام إلى سعادة في الدنيا والآخرة:

﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) ﴾

(سورة الفرقان)

لكن الله سبحانه وتعالى كلما أوعد الكفّار فتح لهم طريق التوبة، كلما أعطانا صورة من صور العذاب بين سبيل النجاة، قال تعالى:

﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا (70) ﴾

(سورة الفرقان)

التوبة هي إقلاع وإصلاح وعزم وندم وعلم:

هذا الذي يقول: الله غفورٌ رحيم، هو ينسى أن هناك آيات دقيقة ثم إن ربك للذين تابوا وآمنوا وعملوا الصالحات إن ربك من بعدها لغفورٌ رحيم، قال تعالى:

﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ (49) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (50) ﴾

(سورة الحجر)

ربنا عز وجل يقول:

﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا (70) ﴾

(سورة الفرقان)

النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((الندم توبة))

[رواه الطبراني عن أبي هريرة]

العلماء يقولون: " التوبة لا بدّ فيها من علم، وحال، وعمل "، لا بدّ من علمٍ أوجب الشعور بالذنب، وإذا شعرت أنك مذنب نشأت عندك حالة تسمى حالة الندم، حالة الندم هذه تفضي إلى التوبة، إلى العمل، العمل له ثلاث أنواع: عمل متعلّق بالماضي وهذا إصلاح لما بدر منك في الماضي، وإقلاع عن الذنب

في الحاضر، وعزيمة في المستقبل ألا تقع في هذا الذنب، هذه هي التوبة؛ علمٌ وحالٌ وعملٌ، العلم يجب أن تقف عند حدود الله، يجب أن تعلم الحلال من الحرام وإلا لا تتوب، إذا أذنبت لا تكون التوبة إلا بعد العلم، والتوبة حال، هذا الحال ثمرة من ثمار العلم، والحال سبب للعمل، العمل في الماضي يُصلح، وفي الحاضر يقلع، وفي المستقبل يعزم، إقلاعٌ وإصلاحٌ وعزمٌ وندمٌ وعلمٌ هذا معنى التوبة، والنبى عليه الصلاة والسلام فيما رواه عن ربّه، يقول عليه الصلاة والسلام:

((لله أفرح بتوبة عبده من الضال الواجد، والعقيم الوالد، والظمان الوارد))

[ذكره السيوطي في الجامع الصغير عن أنس]

لإنسان قبل التوبة متفانت لكن بعد التوبة صار وقافاً عند كتاب الله:

إذا تاب العبد توبةً نصوحاً أنسى الله حافظيه وجوارحه وبقاع الأرض كلّها خطاياها وذنوبه. قال تعالى:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ (53) ﴾

(سورة الزمر)

وقال:

﴿ إِمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (70) ﴾

(سورة الفرقان)

هذه الآية تفسيرها سهل جداً، المؤمن قبل التوبة كيف يعامل الناس؟ بالقسوة، بالظلم، بالبذاءة، بالاستعلاء، بأكل المال الحرام، كيف يعاملهم بعد التوبة؟ بالاستقامة، بالرحمة، بالحلم، مثلاً زوجة كان زوجها ضالاً فاهتدى، بعد أن اهتدى أصبح يعرف حقها وأصبح في غاية الأدب واللطف، قالت له مرةً: أتذكر يوم كنت تغضب مني تلحقني بحطبة تأخذها من الكانون؟ هذا كان قبل التوبة، وبعد التوبة أصبح يعرف حقها، أبدأ في كل المصالح، الإنسان قبل التوبة متفانت، يريد المال من أي طريقٍ مشروع أو غير مشروع؛ لكن بعد التوبة صار وقافاً عند كتاب الله.

الإيمان والعمل الصالح هما التوبة النصوح:

هناك أمثلة كثيرة؛ في العلاقات الزوجية، في علاقات العمل، في المهنة، في الجرف، في الصناعة، في التجارة، في طلب العلم، في النزهات، في الرحلات، في اللقاءات، في الحفلات، هناك سلوك قبل التوبة وسلوك بعد التوبة، لذلك هؤلاء التائبون أناسٌ آخرون، أنت إذا عرفت إنساناً قبل التوبة وبعدها تقول له: أنت إنسانٌ آخر، فلان الفلاني بعد التوبة غير فلان الفلاني قبل التوبة، هذا معنى قوله تعالى:

﴿ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ (70) ﴾

(سورة الفرقان)

كان زوجاً قاسياً أرعناً، يستخدم سلطته الزوجية استخداماً تعسفياً، بعد الإيمان صار زوجاً رحيماً، مثالياً، مُنصفاً في علاقاته مع أبنائه، كان أباً يؤثر نفسه على أولاده، بعد أن عرف الله صار يؤثر أولاده على نفسه، في أي علاقة، حتّى في الحرفة كان غشاشاً فأصبح نصوحاً، كان يكسب مالاً حراماً فأصبح كسبه حلالاً، كان يزيد في السعر لكل إنسان يجهل هذه البضاعة فأصبح مُنصفاً، أصبحت سيئاته حسنات، أعماله السيئة التي كان يقترفها قبل الإيمان أصبحت أعمالاً صالحة:

﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (71) ﴾

(سورة الفرقان)

فالتوبة إلى الله وحده، والإيمان والعمل الصالح هما التوبة النصوح.

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ: لآية معنيان:

قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ (72) ﴾

(سورة الفرقان)

1 - المعنى الأول أي لا يشهدون شهادة الزور:

أي أنهم لا يشهدون شهادة الزور، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((أَلَا أُنبئُكُمْ بِأكْبَرِ الكِبَائِرِ قُلْنَا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الإِشْرَآكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الوَالِدِينَ وَكَأَن مَتَكِنًا فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ لَا يَسْكُتُ))

[صحيح البخاري عن أبي بكره عن أبيه]

هذا معنى.

2 - المعنى الثاني أي لا يحضرون مجلساً لا يرضي الله عزّ وجل:

المعنى الآخر: يشهدون الزور جلسة فيها باطل، حفلة فيها باطل، حفلة فيها معصية هذه زور، هذه كذب، هذه تُفضي إلى غضب الله عزّ وجل، لا يشهدون الزور، الزور هو الباطل، يشهدون الحق، مجلس علم يحضره ؛ لكن حفلة مختلطة لا يحضرها بل يغيب عنها، سئل الإمام الجنيد: من ولي الله؟ قال: " الولي كل الولي ليس الولي الذي يمشي على وجه الماء، ولا الذي يطير في الهواء، ولكن الولي كل الولي الذي تجده عند الحلال والحرام ".

أي أن يراك الله حيث أمرك وأن يفتقدك حيث نهاك، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ (72) ﴾

(سورة الفرقان)

اللغو كل ما سوى الله، الباطل.

الكريم هو من يحافظ على طهارته ونقاوته وعفافه:

قال تعالى:

﴿ مَرُّوا كِرَامًا (72) ﴾

(سورة الفرقان)

الكريم يمر وينجو، لا يقع، مرّ كريماً أي حافظ على طهارته ونقاوته وعفافه، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ (72) ﴾

(سورة الفرقان)

أي لا يشهدون شهادة الزور، وشيء آخر لا يحضرون مجلساً لا يرضي الله عز وجل:

﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (72) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَحْزُوا عَلَيْهَا صُمًّا
وَعُمْيَانًا(73) ﴾

(سورة الفرقان)

إن شاء الله تعالى في درسٍ قادم نتابع هذه الآيات.